

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الأولى - العدد الثالث - خريف ١٣٩٠ ش / أيلول ٢٠١١ م

## سلطان العاشقين ابن الفارض وخصائصه الشعرية

محمد علي أبو الحسنى\*

### الملخص

يعتبر أبو حفص عمر بن علي المعروف بابن الفارض من الشعراء الذين عاشوا في القرن السادس، ونالوا شهرة واسعة في ميدان الشعر، وقد مدحه كثير من النقاد الكبار أمثال ابن خلكان صاحب كتاب وفيات الأعيان، حيث فضله على شعراء عصره. ونحن في هذه المقالة الوجيزة نبحث عن بعض خصائص شعره. والموضوع الأساسي الذي يدور حوله شعر ابن الفارض في ديوانه هو الغزل، وهناك موضوعات أخرى أهمها: الحديث عن الخمرة التي ليست كالخمريات المعروفة عند أبي نواس وغيره، بل إنه يرمز فيها رمزا صوفيا لا يفسر إلا تفسيراً باطنياً. وأيضاً يمتاز شعره بكثرة الجناس والبديع.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی  
رتال جامع علوم انسانی

الكلمات الدليلية: ابن الفارض، الشعر، الحب، الجناس، الطباق، الغزل.

---

\*عضو هيئة التدريس بجامعة دهقان - أستاذ مساعد.

التنقيح والمراجعة اللغوية: د.حسن شوندى.

M.Abolhasani@gmail.com

تاريخ القبول: ١٣٩٠/٧/٢١ هـ. ش

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٥/١٢ هـ. ش

## المقدمة

كان يعيش ابن الفارض في عصر الأيوبيين، وهو عصر عرف بإحياء الفكر والثقافة العربية الإسلامية، بالإضافة إلى اهتمامه بإحياء السياسة، وقد اشتمل على إحياء العلوم الشرعية، والاهتمام بالقرآن الكريم، والحديث النبوي. ولتحقيق هذه الغاية النبيلة راح الحكام يشجعون العلماء، ويتسابقون إلى تقريب الفقهاء، والحفاظ، والقراء.

ذلك العصر هو عصر تنازع النفوس فيه عاملان مختلفان؛ عامل التصوف والتقوى، وعامل الفسوق والمجون، وذلك لانحلال الأخلاق وتحكم الشهوات. واتجه الشعر في مصر وفي غير مصر إلى هاتين الوجهتين. فهو إما أن يراد به الله وإما يراد به الشيطان. وابن الفارض قد نشأ نشأة دينية، وربى تربية صوفية، فلم يكن له بد من سلوك طريقة القوم في شعره. فينظم في شعره إشاراتهم، ويصف مقاماتهم، ويكثر من نعت الخمر وذكر الغزل، مريدا بذلك الذات الإلهية، فكان بذلك موجد الطريقة الرمزية في الشعر العربي، وهو أكثر الشعراء تمعدا للكلام وتكلفا للبديع وولوعا بالجناس والطباق. (الزيات، لاتا: ٤٠١)

ومن أشهر شعره تائيته الكبرى والصغرى. أما التائية الكبرى، فهي قصيدة تقع في ٧٦٠ بيتا من الشعر، ضمنها الشاعر تجاربه الصوفية، ووصفا لطريق الكمال الصوفي، وقد دعيت لذلك بنظم السلوك. (الفاخوري، ١٩٩١م: ٥١٣)

## خصائص شعر ابن الفارض

انتهج ابن الفارض في شعره من حيث الشكل، الطابع القديم الذي لم يفرط فيه بعمود الشعر التقليدي، ولم يتجه للبديع اتجاها مسرفا كما هي الحال في عصره.

أما من حيث المضمون، فقد غلب على شعره طابع التصوف، وإن ألبس معانيه أثوبا من المعاني التقليدية في الغزل والنسيب والخمريات وما شابهها. وقد تحدث عنه ابن خلكان قائلا: «له ديوان شعر لطيف، وأسلوبه فيه رائق ظريف، ينحو منحى طريقة

الفقراء». (ابن خلكان، ١٩٤٨م: ١٣٦)

وجاء في المجاني الحديثة: «وشعره لطيف كان ينحو فيه منحى الصوفية.» (البستاني، لانا، ج ٣: ٣١٥)

انشغل ابن الفارض بالشعر نحو أربعين سنة، وذلك أمد طويل، ولكن شعره بقيمة معانيه وليس بقيمة الفاظه. (ناصرالدين، ١٩٩٠م: ٧)

اهتم علماء التصوف بشعر عمر بن الفارض من وجهة نظر الصوفية وتعاليمهم، وما تردد في هذا الشعر من المعاني الصوفية كالوجد، ووحدة الوجود، والعشق الإلهي وما إلى ذلك.

وقد عبّر ابن الفارض عن الحب والوجد الإلهي بصور شتى من التعبيرات التي استعار بعضها من شعراء الحب العذري.

لقد ملك الحب كل قلبه، وغيبه عن كل شيء إلا عن محبوبه الذي قد لاقى في سبيل الاتصال به والاتحاد معه ما يحتمل وما لا يحتمل من أهوال وتباريح.

وقد لُقّب بـ"سلطان العاشقين" لقوله:

يَحْشُرُ الْعَاشِقُونَ تَحْتَ لَوَائِي وَجَمِيعُ الْمَلِاحِ تَحْتَ لَوَاكِي

و"العاشقون" كناية عن أهل المحبة الإلهية. والمرء يحشر على ما مات عليه. و"اللواء"

كناية عن الروح، و"الملاح" كناية عن التجليات الربانية. (المصدر نفسه: ١٥٦)

يعتبر الشاعر نفسه من رواد السلوك العرفاني ولذلك يطلب من أهل المحبة ومن سالكي طريقة التصوف أن يجمعوا في حوزته ويتبعوا طريقته العرفانية التي سلك فيها. والشطر الثاني من البيت يشير إلى عظمة الخالق، ويقول الشاعر بينما يجمع العشاق تحت لوائى في سلوك الطريق العرفاني، أما الخالق والربّ فهو الذي جمع فيه كلّ الصفات الجمالية والجلالية، ولهذا ينصح الشاعر سلاك طريقة المعرفة أن يتركوه، وبدلاً منه أن يتمسكوا بالخالق، وحسن الخالق، وجماله، وجلاله حتى يستطيعوا أن يصلوا إلى قرب معرفة الله.

وحبّ الشاعر حبّ تخطّى دائرة الحس. فهو حبّ صافٍ من قيود المادة. إنّه قد خلص نفسه من كل شوائبها، وأقبل على حبيبه الذي يحلّيه الجمال المطلق في أسمى صورة

معنوية. ومن أخصّ خصائص هذا الحبيب أنه هو كل ما فى الكون من آيات الحق، والخير، والجمال. ولعل الأبيات التى قالها فى وصف حبيبه، وما صاغها فى تعبيرات حسية، واختارها من أوصاف الخمرة، وكؤوسها، ومجالسها هى خير ما يعبر عن ذلك. كما يقول فى خمريته:

شَرَبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً      سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرْمُ  
لَهَا الْبَدْرُ كَأَنَّ هِيَ شَمْسٌ يَدِيرُهَا      هِلَالٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُزِجَتْ نَجْمُ  
وَلَوْلَا شَذَاهَا مَا اهْتَدَيْتُ لِحَانِهَا      وَلَوْلَا سَنَاهَا مَا تَصَوَّرْتُهَا الْوَهْمُ  
وَلَمْ يُبْقِ مِنْهَا الدَّهْرُ غَيْرَ حُشَاشَةٍ      كَأَنَّ خَفَاها فى صُدُورِ النَّهْيِ كَتْمُ  
وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ تَمَّ لِحِكْمَةٍ      بِهَا احْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَأَهُ فَهْمُ

(الزيات، لاتا: ٣٥٥؛ والبستاني، لاتا: ٣١٨ و٣١٧)

ففى هذه الوجدانيات تتردد كثير من معانى الصوفية للسابقين، ففیه عشق رابعة العدوية، ومعانى الحلاج، وغيره ممن اعتقدوا بالحلول، ومن نادى بوحدة الوجود، ومن قال بالإشراق، وشبه الحقيقة الأزلية بالأنوار التى تتكشف له بعد رياضة روحية، وتخلص من ظلم المادة والحس.

كذلك نرى فى بعض معانيه الوجدانية صوراً قريبة من صور «الخيام» الذى كان يعيش فى القرن الخامس الهجرى فى نيسابور، وإن اختلفت فى منحاه ومعانيه، ولاشك أن ابن الفارض قدوقف على كثير من كتب من سبقوه من الصوفية الكبار، أو آراء من عاصروه كابن عربى، والسهروردى. فتسربت بعض أفكارهم إلى شعره.

أكثر ابن الفارض من استعمال التصغير فى شعره. فلا تكاد تخلو قصيدة منه. (ناصرالدين، ١٩٩٠م: ١٠) ألفاظه فى التصغير كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال «أهيل» تصغير أهل، و«فُتى» تصغير فتى فى قوله:

يَا أَهَيْلَ الْوُدِّ أَنَّى تُنْكِرُو      نَى كَهَيْلًا بَعْدَ عِرْفَانِي فُتَى

(المصدر نفسه: ٢٠٢)

و«أميلح» تصغير أملاح، و«أحيلي» تصغير أحلى فى البيت التالى:

يا ما أميلح كل ما يرضى به ورُضأبه، يا ما أحيلأه بفي

(المصدر نفسه: ١٤٤)

و"العذيب" تصغير العذب فيما يلي:

سَرَت فَأَسْرَتَ لِلْفَوَادِ غُدِيَّةً أَحَادِيثَ جِيرَانِ الْعَذِيبِ فَسَرَّتِ

وأيضاً يمتاز شعر ابن الفارض بكثرة الجناس والبديع مع الإجادة فيهما مما كان

مستملحاً في عصره. (زيدان، ١٩٩٦م، ج ٣: ١٥) كقوله:

نعم، بالصِّبَا قلبي صبا لأحبتى فيا حبذا ذاك الشِّذَا حين هَبَّتِ

سَرَت فَأَسْرَتَ لِلْفَوَادِ غُدِيَّةً أَحَادِيثَ جِيرَانِ الْعَذِيبِ فَسَرَّتِ

(النابلسي، لاتا: ١٣٨)

ففي البيت الأول الجناس<sup>(١)</sup> المستوفى (التام) بين "صبا" و"الصبا"، وما أَلْطَفَ التشطير

في هذا البيت؛ فإنَّ الشطر الأول قد صار سجعه "نعم بالصبا قلبي صبا"، والشطر الثاني

"فيا حبذا ذاك الشذا".

وفي البيت الثاني جناس تام بين "سرت" و"سرت"، وجناس ناقص بين كل منهما

وبين "أسرت".

عندما نقرأ ديوان ابن الفارض، نرى أنه قد استخدم كثيراً من المحسنات البديعية،

كقوله:

أيا زاجراً حُمَرَ الأوارِكِ تاركِ الـ مَوارِكِ مِنْ أكوارها كالأريكةِ

لك الخيرُ أن أوضحتَ توضحَ مُضحياً وَجُبْتُ فيأفي حَبْتِ آرامِ وَجَرَةِ

ونكبتَ عن كُتُبِ العَريضِ مُعارضاً حُزُوناً لِحُزوى سائِقاً لِسُويقةِ

(ناصرالدين، ١٩٩٠م: ٨٤)

فالزاجر السائق كناية<sup>(٢)</sup> عن القائم على كل نفس بما كسبت، وهو الحق تعالى،

و"الأوراك" كناية عن الأنفس البشرية التي تتزين لها شهوات الدنيا، فلازمها، و"زجرها"

كناية عن تكليفها بالأوامر والنواهي، وقوله "تارك الموارك" كناية عن كمال استيلاء

الحقيقة الإلهية على النفوس البشرية.

وفى البيت الثانى تجنيس شبه الاشتقاق بين "أوضحت"، و"توضح"، و"مضحيا"، وجناس تصحيف بين "جبت" و"خبت". وقوله "توضح" كناية عن حضرة العلم القديم. وقوله "مضحيا" كناية عن كمال طلوع شمس الأحذية على جدران الأعيان الكونية. وقوله "جبت" كناية عن تكرار الظهور بالتجلى.

وفى البيت الثالث جناس بين "العريض" و"معارضاً"، وبين "حزون" و"حزوى"، وبين "سائق" و"سويقة".

وقد كثر هذا اللون من الصنعة فى هذه القصيدة وغيرها من شعره. وقدمال إليه شعراء القرن السادس كثيراً وخاصة أهل الشام. فأسرفوا فيه إسرافاً. واستخدم ابن الفارض ألوان جناس. فجاء به تاماً، ومشابهاً، ومخالفاً، ومذيلاً، ومركباً، ومصحفاً. كما جاء بأنواع أخرى من الصنعة اللفظية، والصنائع المعنوية كالطباق، كقوله:

خَيْرُ الْأَصْحَابِ الَّذِي هُوَ آمِرٌ بِالْغَى فِيهِ وَعَنْ رَشَادِي زَاجِرِي

(النابلسي، لاتا: ١١)

ففى البيت مقابلة بين الأمر والزاجر، وطباق<sup>(٣)</sup> بين الرشاد والغى. وأيضاً نجد المقابلة فى قوله:

مَنَى لَهُ ذُلُّ الْخُضُوعِ وَمِنْهُ لِي عِزُّ الْمُنُوعِ وَقُوَّةُ الْمُسْتَضْعَفِ

(ناصرالدين، ١٩٩٠ م: ١٤٦)

فقد قابل بين "منى" و"له"، وبين "له" و"لى"، وبين "ذلُّ الخُضُوعِ"، و"عز المنوع" و"قوة المستضعف".

والترصيع<sup>(٤)</sup> فى قوله:

أَرَبَّتْ لَطَافَتُهُ عَلَى نَشْرِ الصَّبَا وَأَبَّتْ تَرْفُتُهُ التَّقْمُصَ لَا ذَا

(النابلسي، لاتا: ١١٧)

ورد العجز على الصدر<sup>(٥)</sup> كقوله:

يَا سَاكِنِي الْبَطْحَاءِ هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ أَحْيَا بِهَا يَا سَاكِنِي الْبَطْحَاءِ

(المصدر نفسه: ٢٢؛ والفاخوري، ١٣٦٣ش: ٥٢٠)

"ساكنو البطحاء" كناية عن الأولياء والعارفين. (ناصرالدين، ١٩٩٠م: ٢١)

وقد استخدم ابن الفارض في البيت التالي جناس التركيب (المفروق)<sup>(٦)</sup> حيث يقول:

جَنَّةٌ عِنْدِي رُبَاهَا أَمَحَلَّتْ      أَم حَلَّتْ عَجَلَتْهَا مِنْ جَنَّتِي

(النايلسي، لانا: ٢٢)

في هذا البيت جناس التركيب بين "أمحلت" و"أم حلت" و"أمحلت بمعنى أجدبت، وأم حلت بمعنى أثمرت.

الحببية هي جنة عند الشاعر، و"الربا" كناية عن المقامات الإلهية، والأحوال الربانية التي يكون فيها السالك في طريق الله تعالى، وهذه هي جنة المعارف والعلوم. وقوله "أمحلت" أم "حلت" يعني أجدبت أم أثمرت بما يحلو من لذائذ المناجاة، ولطائف الخطابات، والمكالمات الحاصلة في الدنيا والآخرة.

بناء القصيدة عند ابن الفارض يشبه البناء التقليدي للشعر العربي، ولكنه يكتفى منه بالمطلع إلى الجزء الخاص بالنسيب، ومع ذلك فهو لا يتبعه تماما. فلا يقفو أثر التقليديين باستيقاف صاحب أو الصاحبين، والوقوف على الأطلال، أو التصريح عليها، ثم التذكر، والتشوق، والدعاء بالسقيا للديار، وما إلى ذلك، بل هو يعرج على هذه المعاني دون ترتيب، ولا يكاد يذكر استيقاف الصاحب إلا قليلا، وهو يطلب الحادي إلى بلاد الحبيب أن يقف:

سائق الأظعان يطوى البيد طى      مُنْعَمَا عَرَجَ عَلَى كُتْبَانَ طَى

وبذات الشَّيْحِ عَنِّي إِنْ مَرَّرَ      تَ بَحَى مِنْ عُرَيْبِ الْجِرْعِ حَى

فـ"السائق" في البيت الأول هو الرحمن تعالى، و"الأظعان" هم البشر، و"كتبان" كناية

عن المقامات المحمدية. (المصدر نفسه: ١٩٩)

وأيضا يقول، وقد رأى نار ليلاه، وهو مع الركب، أو ليس معهم:

أَوْمِيضُ بَرْقٍ بِالْأَيْرِقِ لَاحَا      أَمْ فِي رُبِّي نَجْدٍ أَرَى مِصْبَاحَا؟

أَمْ تِلْكَ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَسْفَرَتْ      يَلَا فُصِرَتْ الْمَسَاءَ صَبَاحَا؟

يَا رَاكِبَ الْوَجْنَاءِ - وَقِيَّتَ الرَّدَى -      إِنْ جُبْتُ حَزْنَا أَوْ طَوَيْتَ بَطَاحَا

وسلكتَ نعمانَ الأراكَ فُججَ إلى وادٍ هناك عهدته فَيَاحا

(البستاني، لاتا: ٣١٩)

يستعمل اسم ليلي لمطلق الحبيب، والمراد هنا الحق سبحانه وتعالى. فيقول في البيتين الأول والثاني:

أصورة لمحنتها برق لاح لي في عالم الكون، أم نور سماوى رأته عيني في سماء الأبرار؟ أو بالحرى تلك صورته - تعالى - انكشف لي ضوءها في صلاة الليل، فجعلت الليل نهارا؟

والمراد بـ"راكب الوجناء" في البيت الثالث السالك في طريق الخلاص القاهر نفسه. وفي البيت الرابع المراد بـ"نعمان الأراك" التجليات الإلهية. (ناصرالدين، ١٩٩٠م: ١٠٥) وكثيرا ما يبدأ قصائده بدءا لا يتقيد فيه بذكر الركب أو الطعائن وما شابهها، بل قد يعمد إلى تذكّر حبيبه بالنسيم أو ريح الصبا.

وقد جرى ابن الفارض من سبقه من كبار شعراء العربية في نهج القصيدة في وزنها ورويتها أحيانا. وله القصيدة الدالية جرى فيها المتنبي واستخدم كل قوافيها. فقد قال المتنبي:

أمساورُ أم قرنُ شمسٍ هذا أم ليثُ غابَ يقدّم الأستاذا

ويقول ابن الفارض: *شروشاگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی*  
صدّ حمى ظمئى لِمَاك لِمَاذا؟ وهواك قلبى صار منه جُذاذا

(ناصرالدين، ١٩٩٠م: ١١٦)

ويختلف موضوعا القصيدتين. فالمتنبي يمدح، وابن الفارض مستغرق في مواجيدِه. و المواجيد بمعنى التواجد والوجد، المواجيد أحوال غيبية تخطر على قلب العارف. (أنصارى، ١٣٧١ش: ٥٧)

ومن عرضنا لشعر ابن الفارض يتضح لنا مكانته الشعرية بين أقرانه. فهو شاعر ذو طابع خاص في موهبته الشعرية. التزم لونا معيناً، وهو الوجد الروحى، والتصوف على طريقة "وحدة الشهود". ينظم تجاربه الصوفية في شعر رقيق غامر بالعاطفة. فتحس بالتكامل

بين ثباته الشعري، ومعاينه تكاملاً يرقى به في ميدان التصوف إلى شعراء الصوفية الفرس الكبار أمثال جلال الدين الرومي، وفي ميدان الشعر الوجداني إلى مراتب العاشقين أمثال مجنون ليلى، وجميل بثينة، والعباس بن الأحنف، والشريف الرضي، وفي نصوص البيان وتحكمه في الصنعة درجة البحتري، والمتنبي.

وقد يصطنع مطالع شعراء الخمرة كأبي نواس وغيره، فيبدأ بذكر الخمر كما بدأوا مستغنيين بها عن ذكر الرحلة، والراحلة كقوله في قصيدته "نظم السلوك":

سقتني حُميا الحُبِّ راحةً مُقلتي      وكأسي مُحيا مَنْ عن الحسن جَلَّتْ  
فأوهمتُ صحبي أن شُرب شرابهم      به سرِّ سرِّي في انتشائي بنظرةٍ

(فرغاني، ١٣٩٨ق: ٨١ و ٨٠)

هذه القصيدة تدعى "التائية الكبرى" لانتهاؤها رويها بحرف التاء، وهي قصيده تقع في ٧٦٠ بيتاً من الشعر، ضمنها الشاعر تجاربه الصوفية، ووصفا لطريق الكمال الصوفي؛ وقد دعت لذلك "نظم السلوك". (الفاخوري، ١٩٩١م، ٥١٣)

فمن قوله:

شَرَبنا على ذكر الحبيب مُدَمَّةً      سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرمُ  
لها البدرُ كأسٌ وهي شمسٌ يديرها      هلالٌ وكم يبدو إذا مُزجتَ نجمًا!

(الزيات، لاتا: ٣٥٥)

ويكثر ابن الفارض الاقتباس من القرآن كريم، والأحاديث والأخبار والمأثور من أقوال العرب والشعر القديم. فمثلاً لو دققنا النظر في هذا البيت:

يا سائقِ الظَّعنِ يطوى البِيدَ مُعتَسِفاً      طى السَّجَلِ بذاتِ الشَّيخِ من إِضمٍ  
لوجدنا أن هذا البيت مأخوذ من الآية الشريفة: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَانُهُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ  
وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا أَفْرَأَ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾  
(الإسراء: ١٣-١٤)

نذكر هنا نماذج أخرى:

تَذَكَّرْني العَهْدَ القديم، لأنَّها      حديثه عهد من أهيلِ مودتي

(ناصرالدين، ١٩٩٠م: ٨٣)

”العهد القديم“ في البيت إشارة إلى هذه الآية الشريفة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢)

وقبل ارتداد الطرف أحضر من سباً له عرش بلقيس، بغير مشقة

(ناصرالدين، ١٩٩٠م: ٧١)

والبيت إشارة إلى هذه الآية الشريفة:

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (نمل:

٤٠)

لها البدر كأس، وهي شمس، يديرها هلال، وكم يبدو إذا مزجت نجم

(ناصرالدين، ١٩٩٠م: ١٧٩)

والنجم إشارة إلى هذا الكلام من النبي (ص): «أص حابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.»

(المصدر نفسه: ١٧٩)

### المعاني العرفانية والمصطلحات الصوفية في أشعار ابن الفارض

للصوفية مصطلحات يكثر من ترديدها في أشعارهم، وقد أفرد لها ابن السراج الطوسي في اللمع باباً خاصاً ذكر فيه نحواً من ١٥٩ نوعاً، ثم شرحها شرحاً وافياً. ومن خصائص ابن الفارض الشعرية الإشارة إلى المعاني العرفانية في الألفاظ والمصطلحات الصوفية نذكر أهم هذه المصطلحات فيما يلي:

أ. الجمع والفرقة: فالجمع هو اتحاد الواجد بالله على سبيل الوجد، والفرقة تعلقه

بالبشرية.<sup>(٧)</sup>

فالأول عن طريق القلب، والثاني عن طريق العقل. فمثال الجمع قول ابن الفارض:

لها صلواتي بالمقام<sup>(٨)</sup> أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت

كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة

(المصدر نفسه: ٣٧)

ب. الفناء والبقاء:<sup>(٩)</sup> قيل الفناء، السير الى الله، والبقاء بداية السير فى الله. (يثرى، ١٣٤٨ش: ٢٩٦؛ وكاشانى، ١٣٧٢ش: ٤١٦) كقوله:

وتَلَافى إن كان فيه ائتلافى بك عجل به - جُعِلْتُ فداكا  
"الائتلاف" كناية عن الاستئناس بالتجليات وشهود مظاهر المحبوب الحقيقى.  
(ناصرالدين، ١٩٩٠م: ١٥٢) وقوله:

إن كان فى تلى رضاك صباية - ولك البقاء - وجدت فيه لذاذا  
"التلف" هنا الفناء فى سبيل الله و"الصباية" كناية عن القبول بهذا الفناء. (المصدر نفسه: ١١٦)

تتعدد فى شعره ألفاظ الحب، وتختلف أسماؤه حتى زادت على الخمسين. فنذكر من الألفاظ التى دلت على الحب، المحبة، والعلاقة، والهوى، والصبوة، والصباية، والشغف، والوجد، والكلف، والتتيم، والعشق، والجوى، والوله، والدفن، والشجو، والشوق، والتباريح، والوهن، والشجن، والاكثاب، والوصب، والحزن، والكمد، واللوعة، والفتون، والجنون، والخبل، والداء المخامر، والعزام، والهيام، والتعبد، وغيرها. (المصدر نفسه: ١١؛ وابن قيم الجوزية، لاتا: ٢٥)

الحب والهوى، وما يتعلق به من كتمان، وألم، وتحول، وشوق، وهجر، ووصل، والعذل، ... من الوجهة الصوفية هو الموضوع العام فى شعر ابن الفارض.  
ج. الوجد: إن ينقطع القلب عن العلاقات الدنيوية فيشاهد، ويسمع مالم يكن يتهيأ له من قبل.<sup>(١٠)</sup> كقوله:

يا أخا العذل فى من الحُسن مثلى هام و جداً به عَدِمْتُ أخاكا  
لو رأيت الذى سَبَانى فيه من جمال - ولن ترأهُ - سَبَاكا

(ناصرالدين، ١٩٩٠م، ١٥٩)

أخو العذل هو اللائم، و"هام" هنا يعنى سار على غير هدى، وعدم المؤاخاة كناية عن تصنيف البشر بين الجاهلين، والعارفين، و"سبانى" يعنى أسرنى بسحره. ففى البيت إشارة إلى الآية الشريفة ﴿وَأَعْشِينَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ فالأعمى لا يرى البدر حتى ولو

كان كاملاً. ويقول في مكان آخر:

وجدت بوجد آخذى عند ذكرها      بتحبير تال أو بألحان صيت

(المصدر نفسه: ٥٨)

د. القبض والبسط: <sup>(١١)</sup> «القبضُ خلافُ البسط... وأصله في جناح الطائر... قبض الطائر جناحه، أى: جمعه...، والبسطُ السرور والفرح.» (ابن منظور، ١٤٠٥ق: ٢١٣ و ٢٥٩) كقول الشاعر:

وفى رَحْموتِ البَسْطِ، كُلِّي رغبة      بها انبَسَطتْ آمالُ أهلِ بَسِيطِي  
وفى رَهَبوتِ القَبْضِ كُلِّي رهبةً      ففيما أَجَلتُ العَيْنَ منى أَجَلتْ

(المصدر نفسه: ٧٤)

فالرحموت هي الرحمة، وانبسطت يعني انفرجت، والبسيطة هي الأرض، والرهوت بمعنى الرهبة، وأجلت العين يعني أدرتها، وأجلت هي بمعنى أوضحت. فيقول الشاعر في هذين البيتين حول مفهوم البسط، والقبض العرفانيين بأن كل من يعيش في الأرض له رغبة تامة، وكاملة إلى مفهوم البسط العرفاني، ومزاياه وكل من يعيش في الأرض له خوف ومهابة كلية من مفهوم القبض، ويقول الشاعر في هذا المجال إنني أدرت عيني في ما حولي رأيت وتيقنت بأن كل الأشياء والأشخاص الذين يتواجدون حولي لهم رهبة كلية وخوف تام من القبض. وخلاصة القول أن كل الناس لهم رغبة تامة إلى البسط بينما لهم رهبة تامة وخوف شديد من القبض.

هـ السكر والصحو: فالسكر غيبة القلب عن مشاهدة الخلق، ومشاهدته للحق بلا

تغير ظاهر على العبد:

تُهذَّبُ أخلاق النَّدَامى فَيَهْتَدِي      بها لطريقِ العَزَمِ من لا له عَزَم

(المصدر نفسه: ١٨٤)

أشار بـ"الندامى" إلى المريدين السالكين طريق الله تعالى، و"العزم" كناية عن السير

في طريق الخير. (المصدر نفسه: ١٨٢)

وفى سكرة منها، ولو عمر ساعة      ترى الدهر عبداً طائعاً، ولك الحكم

الخطاب للمريد السالك، والعبد الطائع هو العارف لأمر ربه، المؤتمر بأوامره، والمنتهى بنواهيته، و"الحكم" كناية عن تحكم المريد بأمر نفسه، وكبح جماحها عن الرغبات الفانية. (المصدر نفسه: ١٨٤)

أما الصحو فهو رجوع القلب إلى ما غاب عن عيانه لصفاء اليقين، ويختلف عن الحضور بأن هذا دائم والصحو حادث:

ففى الصحو بعد المحولم أك غيرها      وذاتى بذاتى إذا تحلّت تجلّت

(المصدر نفسه: ٤٢)

وكلّ الذى شاهدته فعلٌ واحدٍ      بمُفرَدِهِ، لكن بِحُجْبِ الأُكْنَةِ  
إذا ما أزال السّترَ لم ترَ غيرهُ      ولم يبقَ بالأشكالِ إشكالُ ربيّةِ

(المصدر نفسه: ٧٩)

و. الكشف: بيان ما يخفى على الفهم، فيكشف عنه للعارف كأنه رأى عين. فيعبر الشاعر عن كشفه قائلاً:

وما برحوا أراهم معى فإن نأوا      صورة فى الذهن، قام لهم شكل  
فيقول فى هذا البيت إن صورتهم لا تفارق الذهن أينما بعدوا. فإن بعدت أجسادهم فإن ذكرهم دائماً فى البال. (المصدر نفسه: ١٦٩) وقال ابن الفارض أيضاً:

فالدياجى لنا بك الآن غُرٌّ      حيث اهديت لى هدى من سناكا  
واقتباس الأنوار من ظاهرى      غير عجيب وباطنى مأواكا

ف"الدياجى" فى البيت الأول هى كناية عن المظاهر الكونية باعتبار نظر أهل الغفلة والاحتجاب إليها. و"لنا" كناية عن معشر العارفين والأولياء الصالحين. والغر كناية عن إشراق النفوس بنوره. ثم فى البيت الثانى يقول: إن ظهر الضياء على ملامحى، فلاعجب فى ذلك لأن مأواك فى قلبى ولا بد أن يفيض باطنى على ظاهرى من نورك. (المصدر نفسه: ١٥٧ - ١٥٨)

ز. التجريد: وهو ما تجرد للقلب من شواهد الألوهية، إذا صفا من كدور البشرية، كما نراه فى البيت التالى:

أبعينيه عمى عنكم كما صَمَّ عن عدله في أذني  
أولم ينه النهى عن عدله زاوياً وجه قبول النصح زى

(المصدر نفسه: ٢٠٣ - ٢٠٤)

## النتيجة

يعتبر ابن الفارض الملقب بـ"سلطان العاشقين" من الشعراء الذين عاشوا في القرن السادس. له ديوان امتاز شعره ببعض الأمور التي نذكرها بصورة موجزة فيما يلي:

١. ابن الفارض شاعر عاشق توزعت عواطفه بين عالمي المادة والروح.
٢. شعره مزيج من الفطرة والتكلف. فهو شاعر بالأصل، ولكنه حاول أن يجارى شعراء العصر في نماذج شعرهم. فوقع في بعض التكلف أحيانا والصناعة أحيانا أخرى، وخصوصا في استعماله لفنون البديع من جناس وطباق وتورية. ويكفى من تكلفه قصيدته الذالية. فالمعروف أن الشعراء يبتعدون عن هذه القافية لصعوبتها وندرة ألفاظها.
٣. أكثر ابن الفارض من استعمال التصغير في شعره، ولا تكاد تخلو قصيدة واحدة من هذا الباب.

٤. يكثر في شعر ابن الفارض تعداد أسماء الخمرة، و، وصافها، وما ذلك إلا تعبيرا عن حالات الغيبوبة والفناء في الله.
٥. تتعدد في شعره ألفاظ الحب وتختلف أسماءه حتى زادت على خمسين.

## تعليقات

١. الجناس بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ، و"التام" منه أن يتفقا في أنواع الحروف، وأعدادها، وهياتها، وترتيبها؛ فإن كانا من نوع واحد كإسمين، سمي ماثلا؛ وإن كانا من نوعين مختلفين سمي مستوفيا. (التفتازاني، ١٣٧٣ش: ١٩٢-١٩١؛ والهاشمي بك، ١٩٤٠م: ٤١٤)

٢. والكناية اصطلاحا: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الأصلي.

(الجارم وأمين، ١٩٦٩م: ١٢٥) أو هو كلام أريد به معنى غير معناه الحقيقي الذي وضع له، مع جواز إرادة ذلك المعنى الاصلى؛ إذ لا قرينة تمنع هذه الإرادة. (الحسيني، ١٤١٣هـ: ٦٩٠)  
٣. إن كان الضدان أو الأضداد لموصوفين والألفاظ حقيقية، فهو الطباق إن كان الكلام جامعا بين ضدين فذيين، وإن كانت الأضداد أربعة فصاعدا كان ذلك "مقابلة". (ابن أبي الاصبغ المصري، ١٩٥٧م: ٣١)

٤. الترصيع هو توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز أو تقاربها. (الهاشمي بك، ١٩٤٠م: ٤٢٣)

٥. ردُّ العجز على الصدر وهو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها، وفي النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر المصراع الثاني. (التفتازاني، ١٣٧٣ش: ٢٠٠-١٩٩)

٦. سمي هذا النوع من الجناس مفروقا لافتراق اللفظين في الكتابة. (تفتازاني، ١٣٧٣ش: ١٩٢؛ وآهني، ١٣٦٠ش: ٢٢٩)

٧. قال أبو نصر السراج: «الجمع لفظ مجمل يعبر عن إشارة من أشار إلى الحق بلاخلق قبل ولاكون كان؛ إذ إنَّ الكون والخلق مكوَّنان لاقوام لهما بنفسهما؛ لأنهما وجود بين طرفي عدم. والتفرقة أيضا لفظ مجمل يعبر عن إشارة من أشار إلى الكون والخلق. وهما أصلان لا يستغنى أحدهما عن الآخر. فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع، حجد البارئ، ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة، فقد أنكر قدرة القادر. فإذا جمع بينهما فقد وحد.» (السراج، ١٩١٤م: ٣٣٩-٣٤٠)

قال الجنيد:

قد تحققتك في السرِّ فناجك لسانِي فاجتمعنا لمعانٍ وافترقنا لمعانٍ  
إن يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني فلقد صيرك الوجد من الأحشاء دان. (كاشاني، ١٣٧٢ش: ١٢٨) وأيضا قال الواسطي: «إذا نظرت إلى نفسك فرقت، وإذا نظرت إلى ربك جمعت، وإذا كنت قائما بغيرك، فأنت فانٍ بلا جمعٍ ولا تفرقة.» (المصدر نفسه: ١٢٩)

٨. والمراد بـ"المقام" مقام إبراهيم عليه السلام بقرب الكعبة المشرفة. (فرغانى، ١٣٩٨ق: ١٩١)
٩. وأيضا قيل الفناء روية حركات العبد، والبقاء روية عناية الله. والفناء المطلق هو ما يستولى من أمر الحق - سبحانه وتعالى - على الحق، فيغلب كون الحق على كون العبد.
١٠. وقال الجنيد إن الوجد انقطاع الأوصاف عند سمة الذات بالسورور، وقال أبو العباس عطا إن الوجد انقطاع الأوصاف عند سمة الذات بالحنن. (كاشانى، ١٣٧٢ش: ٩٤)
١١. وقيل إن البسط هو الفرغ في حالة الكشف. (أنزابى نژاد، ١٣٧٢ش: ١٣٠) وهما خلان شريفان لأهل المعرفة (الصوفية). إذا قبضهم الله، حشمهم عن تناول المباحات حتى الأكل والشرب والكلام، وإذا بسطهم، ردهم إلى هذه الأشياء حتى يتأدب الخلق بهم.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم.

- ابن أبى الاصبع المصرى. ١٩٥٧م. بديع القرآن. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر.
- ابن خلكان. ١٩٤٨م. وفيات الأعيان وإنباء أبنائه الزمان. تحقيق وتعليق محمد محيى الدين عبدالحميد. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبى بكر. لاتا. روضة المحبين ونزهة المشتاقين. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. ١٤٠٥ق. لسان العرب. قم: نشر أدب الحوزة (أوفست).
- انصارى، قاسم. ١٣٧١ش. مبانى عرفان وتصوف. تهران: لاتا.
- البستاني، فؤاد أفرام. لاتا. المجانى الحديثة. ط ٣. بيروت: دارالمشرق.
- التفتازانى، سعدالدين. ١٣٧٣ش. مختصر المعانى. قم: دارالحكمة.
- الحسينى، سيدجعفر. ١٤١٣ق. أساليب البيان فى القرآن، ط ١. طهران: مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامى.
- الجارم، على وأمين، مصطفى. ١٩٦٩م. البلاغة الواضحة. ط ٢١. مصر: دارالمعارف.
- الزيات، أحمدحسن. لاتا. تاريخ الأدب العربى. ط ٢٤. لاتا.

- زيدان، جرجى. ١٩٩٦م. تاريخ آداب اللغة العربية. ط ١. بيروت: دارالفكر.
- الفاخوري، حنا. ١٩٩١م. الموجز فى الأدب العربى وتاريخه. ط ٢. بيروت: دارالجيل.
- الفاخوري، حنا. ١٣٦٣ش. تاريخ ادبيات زبان عربى. ترجمه عبدالمحمد آيتى. تهران: انتشارات توس.
- فرغانى، سعيد الدين سعيد. ١٣٩٨ق. مشارق الدرارى (شرح تائيه ابن فارض). مشهد: نشر دانشگاه فردوسى.
- كاشانى، عزالدين محمود. ١٣٧٢ش. مصباح الهداىة ومفتاح الكفاية. تصحيح جلال الدين همائى. تهران: نشرهما.
- النايلسى، عبدالغنى. لاتا. ديوان عمرين الفارض. بيروت: دار إحياء التراث.
- ناصرالدين، مهدي محمد. ١٩٩٠م. شرح ديوان ابن الفارض. بيروت: دار الكتب العلمية.

